﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: 34]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ختم ما مضى من قصّة نوح عليه السلام مَعَ قَومِه بما مفاده (اللّهُم هَل بلّغتُ)

لَمَّا طال الحوار جدًّا بين نوح عليه السلام وقومه بلا جدوى ولا بارقة أمل فيها، وما أكثر ما رَدَّ عليهم نوحٌ عليه السلام فيما أوردوه من شُبَهٍ وآراء فاسدة! جاءَ قولُه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ﴾ ختامًا للكَلام معهُم بَعدَ كلِّ ما أثاروا من شُبَهٍ وافتراءاتٍ، وأجابَهُم عَلَيها الواحدةَ تلو الأخرى، جاءَ هُنا بخاتِمَةٍ قاطِعَةٍ بقولِه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ قال ذلك لَمّا لَم يتحقَّق له ما أرادَ من نُصحِهم الَّذي طال أمده كثيرًا، ثُمَّ دَعوتِهم، وإقامَةِ الحُجَّةِ عليهم، حيث إنَّه يئس من حالِهم، فقالَ قولتَه تلكَ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَنفَعُكُمْ﴾: "النَّفْعُ: ما يُسْتَعانُ به في الوُصولِ إلى الخَيْراتِ، وما يُتَوَصَّلُ به إلى الخَيْرِ، فهو خَيْرٌ، فالنَّفْعُ خَيْرٌ، وضِدُّهُ الضُّرُّ"(1). والمراد هنا النَّفع ضدُّ الضرِّ.

2) ﴿نُصْحِيٓ﴾: النّونُ والصّادُ والحاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ على مُلاءَمَةٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ وإصْلاحٍ لَهُما.. ومِنْهُ النُّصْحُ والنَّصيحَةُ: خِلافُ الغِشِّ، ونَصَحْتُهُ أَنْصَحُهُ، وهوَ ناصِحُ الجَيْبِ لِمَثَلٍ، إذا وُصِف بخُلوصِ العَمَلِ، والتَّوْبَةُ النصوحُ مِنْهُ، كَأَنَّها صَحيحَةٌ لَيْسَ فيها خَرْقٌ ولا ثُلْمَةٌ"(2). والنُّصح: قول أو عمل يريد صاحبه صلاح المعمول لأجله، وأكثر ما يطلق على الأقوال النافعة المنقذة من الأضرار، ويكون أيضًا بالعمل، كقوله تعالى: ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في سورة التوبة [91](3).

(1) الرّاغب، المفردات: (نفع).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نصح).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/61.

3) ﴿يُغْوِيَكُمْ﴾: الغَيُّ: جهل من اعتقاد فاسد، وذلك أنَّ الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقدٍ اعتقادًا، لا صالحًا، ولا فاسدًا، وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد، وهذا النَّحو الثاني، يقال له: غَيٌّ"[1]. والمراد: أن يضلَّكم[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

موقفُ المفاصلةِ الأخيرُ بينَ سيِّدنا نوحٍ وقومِهِ الرّافضينَ دَعوتَه وهديه

لمّا فرَغَ نوحٌ ﷺ من إجاباتِهِ المتعدِّدةِ رَدًّا على ما أثاروه من شُبهات، وقابَلَ منهم عدمَ الإذعانِ لدعوتِهِ؛ عَلِمَ أن لا نفعَ يُرجَى من نُصحِهِ إيّاهُم، وأنَّه ما تَوانَى، ولا قَصَّرَ في دعوتِهِم، ولا في نَصيحَتِهِم، وأنَّهم لا زالوا في غوايتِهِم وكِبرِهِم، أضَلَّهم اللّه تعالى عن طَريقِ الحَقِّ والخيرِ، لما كان منهم من عِنادِهِم وصَلَفِهِم وغُرورِهِم، فأعلَمَهُم ﷺ أنَّ مصيرَهم راجعٌ إليه ﷻ، وسيجازيهم الجزاءَ الَّذي يستحقونه.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالَةُ العطفِ في ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ﴾:

خِتامُ الحوارِ مع القومِ، ببيانِ عدمِ نفعِ النُّصحِ لهُم

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ﴾ "عَطْفٌ على وعْظِهِمْ بحُلولِ العَذابِ وتَوَقُّعِهِ بَيانَ حالِ مُجادَلَتِهِ إيّاهُمُ الَّتي امْتَعَضوا مِنْها بأنَّها مُجادَلَةٌ لِنَفْعِهِمْ وصَلاحِهِمْ، وفي ذَلِكَ تَعْريضٌ بتَحْميقِهِمْ وتَسْفيهِ آرائِهِمْ حَيْثُ كَرِهوا ما هوَ نَفْعٌ لَهُمْ"[3].

دلالَةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المُضارِعِ ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ﴾:

إلحاحٌ في الدَّعوةِ مع طولِ الزَّمانِ، ومع ذلك فلا جَدوى ولا إيمان

ورد التَّعبيرُ بالفعل المضارِعِ ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ﴾ المنفي دِلالَةً على تَجَدُّدِ عدمِ النَّفعِ وحدوثِهِ واستمرارِهِ طالَما أنَّه لَم يَجدْ آذانًا صاغيةً أو قُلوبًا متقَبِّلةً للنُّصحِ مَعَ استحضارِ صورةِ هذا النُّصحِ الَّذي تَكرَّر مرارًا وتكرارًا.

(1) الرّاغب، المفردات: (نغوى).
(2) الرّاغب، المفردات: 3/167.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/61.

نُكتَةُ تَقديمِ المفعولِ به (كُم) على الفاعِلِ ﴿نُصۡحِيٓ﴾:

مَن يُخصُّ بالحديثِ؛ يُقصَدُ بالنَّظرِ، فيصيرُ مُقدَّمًا

في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ﴾ قُدِّمَ المفعولُ بهِ على فاعِلِه ﴿نُصۡحِيٓ﴾ لِلاختصاصِ، لِكَونِهِم المَخصوصينَ بالنَّفعِ لا غَيرِهِم، ولِقَصدِ حُصولِ التَّبكيتِ والتَّعجيبِ مِن حالِهِم.

سِرُّ إضافةِ الفِعلِ إلى ياءِ المُتكَلِّم ﴿نُصۡحِيٓ﴾ ودلالته:

شَرفُ المضافِ، مِن شَرَفِ المضافِ إلَيه

أضاف نوحٌ ﷺ النُّصحَ إلَى نَفسِهِ تَشريفًا وتَعظيمًا لِأمرِ هَذا النُّصحِ لِكَونِهِ نُصحًا خالِصًا مِن مُخلِصٍ، "والنُّصحُ: قَوْلٌ أو عَمَلٌ يُريدُ صاحِبُهُ صَلاحَ المَعمولِ لِأجْلِهِ، وأكْثَرُ ما يُطْلَقُ على الأقْوالِ النّافِعَةِ المُنْقِذَةِ مِنَ الأضْرارِ، ويَكونُ بالعَمَلِ، والمُرادُ بالنُّصْحِ هُنا هوَ ما سَمّاهُ قَوْمُهُ بالجِدالِ، أيْ: هوَ أوْلَى بأنْ يُسَمَّى نُصْحًا؛ لِأنَّ الجِدالَ يَكونُ لِلْخَيْرِ والشَّرِّ، كَما تَقَدَّمَ"[1].

الغَرضُ من الاعتراضِ بأسلوبِ الشَّرطِ في السّياق:

النُّصح دليل الاهتمام، وهو لبُّ الدّين، وأسُّ إصلاح الأنام

قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ﴾، هوَ شَرْطٌ مُعْتَرِضٌ بَيْنَ الشَّرْطِ وبَيْنَ دَليلِ جَوابِهِ؛ لِأنَّهُ لَيْسَ هوَ المَقْصودُ مِنَ التَّعْليقِ ولَكِنَّهُ تَعْليقٌ على تَعْليقٍ، وغَيْرُ مَقْصودٍ بِهِ التَّقْييدُ أصْلًا، فلَيْسَ هَذا مِنَ الشَّرْطِ في الشُّروطِ المَفْروضَةِ في مَسائِلِ الفِقْهِ وأُصولِهِ في نَحْوِ قَوْلِ القائِلِ: إنْ أكَلْتِ، إنْ شَرِبْتِ؛ فأنْتِ طالِقٌ؛ لِأنَّها مَفْروضَةٌ في شَرْطٍ مُقَيِّدٍ لِشَرْطٍ آخَرَ، على أنَّ المَقْصودَ إذا اجْتَمَعَ فِعْلا الشَّرْطَيْنِ؛ حَصَلَ مَضْمونُ جَوابِهِما"[2]، وتقييد عدم نفع النُّصح بإرادته مع أنَّه لا محالة؛ للإيذان بأن ذلك النصح مقارن للإرادة والاهتمام به.

نُكتَةُ حَذفِ جَوابِ الشَّرطِ في الجملة الشَّرطيَّة:

الإيجازُ في موطِنِهِ، يدُلُّ على المُرادِ باختصارٍ

في قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ﴾ شرطٌ حُذف جوابه لدلالة ما سبق عليه، وليس جوابًا لامتناع تقدُّم الجواب على الشرط

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/61.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/61.

على الراجح، والتقدير: "إنْ أرَدْتُ أنْ أنْصَحَ لَكُمْ لا يَنفعُكُمْ نُصْحي، وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[1]. وفي حذف الجواب دلالة على عدم جدوى نصحهم ولا انتفاعهم به.

دِلالَةُ التَّعبيرِ بـ ﴿إِنْ﴾، المستعملةِ فيما يَقِلُّ وُقوعُهُ:

كَـثْرَةُ الجِـدالِ، تَصرِفُ الإنسانَ إلَى قِلَّةِ نُصحِهِ لِلمُجادِلِ

ورَدَ التَّعبيرُ على لِسانِهِ ﷺ بـ ﴿إِنْ﴾ الدالَّةِ على الشَّكِ، وعَلَى قِلَّةِ وُقوعِ الشَّيءِ المَقطوعِ بِصِحَّةِ وُقوعِهِ، كما تُستعمَلُ إنْ في مَقامِ التَّوبيخِ إنكارًا لِحُدوثِ الفعلِ مِن فاعِلِه، لِذا عَدَلَ نوحٌ ﷺ إلَى ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ مُؤْذِنٌ بعَزْمِهِ على تَجْديدِ النُّصْحِ في المُسْتَقْبَلِ؛ لأنَّ واجِبَهُ هوَ البَلاغُ وإنْ كَرِهوا ذَلِكَ"[2]. ومراده من فعل النُّصح هنا "الإعلام بموضع الغيِّ ليُتَّقى، والرشد ليُتَّبع"[3].

الغرض من التَّعبير بأسلوب الشَّرط في سياق الآية الكريمة:

ارتباط الكلام، يجعل بعضه آخـذًا بحُجز بعضه الآخر

الغرض من تعبيره ﷺ في قوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾، بأسلوب الشرط زيادة تأكيد منه ﷺ لعموم قدرة الله وإرادته، والمعنى: إنْ كانَ اللهُ يُريدُ أنْ يُغْوِيَكُمْ، فإنْ أرَدْتُ أنْ أنْصَحَ لَكُمْ؛ لا يَنْفعُكُمْ نُصْحي، وذلك أنَّ القاعدة - كما يقول النُّحاة - إذا اجتمع في الكلام شرطان وجواب؛ يُجعل الجواب للثاني والشرط الثاني وجوابه جواب عن الأول.

"وجُمْلَةُ الشَّرْطِ في قَوْلِهِ: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ هيَ المَقْصودُ مِنَ الكَلامِ، فجَوابُها في مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ﴾، ولَكِنَّ نَظْمَ الكَلامِ بُنِيَ على الإخْبارِ بعَدَمِ نَفْعِ النُّصْحِ اهْتِمامًا بذَلِكَ، فجُعِلَ مَعْطوفًا على ما قَبْلَهُ، وأُتيَ بالشَّرْطِ قَيْدًا لَهُ"، "وأشارَ بقَوْلِهِ: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ إلَى ما هُمْ فيهِ مِنْ كَراهيَةِ دَعْوَةِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/204، والآلوسيّ، روح المعاني: 12/46.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/62.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور: 5/279.

نوح ﷺ سَبَبُهُ خِذْلانُ الله إيّاهُمْ، ولَوْلاهُ؛ لَنَفعَهُمْ نُصْحُهُ، ولَكِنَّ نوحًا ﷺ لا يَعْلَمُ مُرادَ الله مِنْ إغْوائِهِمْ ولا مَدَى اسْتِمْرارِ غَوايَتِهِمْ، فلِذَلِكَ كانَ عليه أنْ يَنْصَحَ لَهُمْ إلَى نِهايَةِ الأمْرِ"[1].

سِرُّ التَّعبيرِ بِ فعل الكينونة ﴿كَانَ﴾:

لا يقعُ في مُلكِ اللهِ شَيءٌ، كبر أو صغر على خِلافِ ما نهى وما أمر

جاءَ التَّعبيرُ هُنا بزيادَةِ الفعلِ ﴿كَانَ﴾ لِلإشعارِ بتَقَدُّمِ إرادَتِه تعالى زَمانًا كَتقدُّمِها رُتبةً ولِلدِّلالَةِ على تَجَدُّدِها واستمرارِها، وإنَّما قُدِّمَ على هَذا الكَلامِ ما يَتَعَلَّقُ بقولِهِم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ منَ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾؛ رَدًّا عَلَيهم مِن أوَّلِ الأمرِ وتَسجيلًا عَلَيهم بحُلولِ العَذابِ مَعَ ما فيهِ مِن اتِّصالِ الجَوابِ بالسُّؤالِ، وفيهِ دَليلٌ على أنَّ إرادَتَه تعالى يَصِحُّ تعلُّقُها بالإغواءِ، وأنَّ خِلافَ مُرادِهِ غيرُ واقِعٍ"[2].

الغَرضُ مِن التَّعبيرِ باسمِ الجَلالَةِ ﴿ٱللَّـهُ﴾:

ورود اسم اللهِ تعالى، يكون لِتَربيةِ المَهابَةِ في النُّفوسِ عادة

وردَ التَّعبيرُ باسمِ اللهِ الأعظَمِ سبحانَهُ، والمُرادُ مَن بيَدِهِ مقاليدُ الأُمورِ كلِّها، فإذا أرادَ إضلالَكُم لِكَونِ هَذا ما جُبِلَتْ عَلَيهِ نفوسُكم، ويُركِبُكم طَريقًا غَيرَ طَريقِ الصَّوابِ، فإنَّ إرادَتَه ﷻ تَغلِبُ إرادتي وتتعَدّاها، وهُنا لا ينفعُكُم أيُّ شَيءٍ، فلا تستطيعونَ دَفْعَ الضُّرِّ عنكُم، ولا تَرُدّونَ عَذابَهُ، فاحذَروا غَضَبَهُ.

دِلالَةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المُضارِعِ ﴿يُغْوِيَكُمْ﴾:

الغَوايةُ متجدِّدةٌ، ومَن كتب الله عليه الغوايةَ؛ خسر الدُّنيا والآخرة

وردَ التَّعبيرُ بالفِعلِ المُضارعِ ﴿يُغْوِيَكُمْ﴾ المنصوبِ دِلالَةً على ما هم فيه من غواية متجددة، تُرجمت في كراهيتهم نوحًا ﷺ، وعدم الانصياع لدعوته إيّاهم إلى التَّوحيد.

مَوقِعُ جُملَةِ ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾، مِمّا قبلها ودِلالَتُه:

وقعت جملةُ ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ "ابتدائيَّةً لِتَعْليمِهِمْ أنَّ الله رَبُّهُمْ إنْ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/62.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/205، والآلوسيّ، روح المعاني: 12/47.

تـذكـيرٌ بـالـلـهِ رَبِّـهِـم، لَعلَّهُم يَرجِعونَ

كانوا لا يُؤْمِنونَ بوُجودِ اللّه، أو لِتَذْكيرِهِمْ بذَلِكَ إنْ كانوا يُؤْمِنونَ بوُجودِهِ، ويُشْرِكونَ مَعَهُ ودًّا، وسواعًا، ويَغوثَ، ويَعوقَ، ونَسْرًا"[1]، فالرُّبوبيَّة معنًى تأسيسيٌّ، يجب اصطحابه دائمًا.

دِلالةُ التَّعبيرِ بالجُملَةِ الاسميَّةِ ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾:

الامـتـنـانُ على البَشَريَّةِ بعَطايا الرُّبوبيَّةِ، يُلقي في النَّفسِ وازِعَ الإيمانِ

دلَّ تَعبيرُه ﷻ بقوله: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ جُملَةً اسميَّةً وقعت بَينَ طَرَفين: طَرَفٍ يَخُصُّ الدُّنيا وافتراءاتِها، وطَرَفٍ يُعيدُ النَّفسَ إلَى عالَمِها الأخرَوي، لِتنزَجِرَ، وتتَّعِظَ إن كانَ لَدَيها الاستعدادُ الكامِلُ لِذَلكَ، وفي ورود قَوله تعالى: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ كذلك جُملةً اسميَّةً مُعرَّفةَ الطَّرَفينِ تَأكيدٌ وبَيان لِلنُّفوسِ بأنَّ خالِقَها ومُدَبِّرَ أمرِها ومَن أوجَدَها، ومَنَحَها؛ هوَ الرَّبُّ الَّذي يَجِبُ الإيمانُ بِهِ والإذعانُ لِجَنابِهِ.

سِرُّ اصطِفاءِ المُسنَد ﴿رَبُّكُمْ﴾، وإضافته إلى ضميرهم:

وصـفُ الـرَّبِّ ﷻ، إلـزامٌ لهم بالإقرار بالنِّعَمِ

سَبَقَ في العُنوانِ المُتَقَدِّم مَعنَى الرَّبِ، ومَجيءُ المسندِ هُنا، وهوَ الخَبَرُ ﴿رَبُّكُمْ﴾ مُضافًا إلَيهم تَشريفًا لَهُم وتنبيهًا على ضَرورَةِ النَّظَرِ إلَى نِعَمِ اللّه عَلَيهِم، وتَعريفُهُ بالضَّميرِ هوَ وإنْ كانَ ضَميرَ غَيبَةٍ إلّا أنَّه حاضِرٌ في النُّفوسِ والقُلوبِ لا يَغيبُ فيُستَدرَكَ، ولا يبعدُ فيُنتظرَ، وعبَّر به هنا تنبيهًا وتذكيرًا بعطاءاتِ اللّه الَّتي لا تنقطع، للدِّلالَةِ على أنَّه حقيقٌ أن يُعبد.

دِلالَةُ العطفِ في ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

ضـرورةُ المرجِعِ إلَيهِ ﷻ والمآلِ في كـلِّ وضـعِ وحال

جاءَ قَولُهُ تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تَذييلًا وختامًا لِحواراتِهِ ﷺ مَعَ قَومِهِ، وهوَ يتضمَّنُ إخبارًا في ضِمنِهِ وعيدٌ وتَخويفٌ لَهُم، والمُرادُ: بَعدَ ما فعَلْتُم، وغَوَيتُم، وانقَلَبتُم على أعقابِكُم في دُنياكُم، اعلَموا أنَّ مَصيرَكُم ومَآلَكُم إلَى هَذا الَّذي لَم تُذعِنوا لَهُ بالإيمانِ، ولَم تلجؤوا إلَيه ليُخَلِّصَكُم مِمّا أنتُم فيهِ، وهوَ الَّذي سَيُجازيكُم على أعمالِكُم لا مَحالَةَ، فلَستُم بناجينَ ولا مُفلِتينَ مِن عَذابِهِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/63.

نُكتَةُ تَقديمِ الجارّ والمَجرورِ ﴿وَإِلَيۡهِ﴾ في السّياق:

اختِصاصُهُ سُبحانَهُ بكَونِ الرُّجوعِ إلَيه وحدَه

وردَ التَّعبيرُ هنا بتقديمِ المسنَدِ الجارِّ والمجرورِ ﴿وَإِلَيۡهِ﴾ على مُتَعَلَّقِه، وهوَ ﴿تُرۡجَعُونَ﴾، للاهتمامِ ولِرِعايَةِ الفاصِلَةِ، ولَيْسَ لِلْقَصْرِ؛ لِأَنَّهُمْ لا يُؤْمِنونَ بالبَعْثِ أصْلًا، بَلْهَ أنْ يَزْعُموا أنَّهُمْ يَحْضُرونَ إلَى اللّه وإلَى غَيْرِهِ"[1].ولا مانِعَ مِن كَونِ المراد تأكيدَ الرُّجوعِ إلَيهِ سُبحانَه لا إلَى غَيرِه: ﴿وَإِلَيۡهِ﴾، أي: لا إلى غيره ﴿تُرۡجَعُونَ﴾، أي: بأيسرِ أمرٍ وأهوَنِهِ بالمَوتِ، ثُمَّ البَعثِ، فيُجازيكُم على أعمالِكُم، كَما هيَ عادَةُ المُلوكِ مَعَ عُمّالِهِم"[2].

دلالَةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المُضارِعِ ﴿تُرۡجَعُونَ﴾، مبنيًّا للمفعول:

الفرق بين (رجَعُوا) و(سيرجِعون)

جاءَ التَّعبيرِ القرآنيُّ هُنا بالفعلِ المضارعِ ﴿تُرۡجَعُونَ﴾ مبنيًّا للمفعول، دلالة على أنَّ رجوعه إلى اللّه تعالى هو أمر واقع عليهم، وليس اختيارًا منهم، فبقدرته سبحانه يبعثهم من موتهم.

وهو هنا كِنايَةٌ دَقيقَةٌ عن أنَّهُم لا يستطيعونَ نَجاةً ولا هَربًا ولا إفلاتًا من عقابِهِ معَ ما في عبارَةِ الرُّجوعِ من تخويفٍ وزجرٍ تهتزُّ من أراجيفِ حوادِثِهِ النُّفوسُ المؤمنةُ الموقنةُ بأمرِ اللّه.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الغَيُّ والضلال:

أكثر استعمال الغيّ في الدّين خاصَّة، والضَّلال استعماله أعمُّ

(الغيُّ): "أصل الغيِّ: الفسادُ، ومِنْه يُقال: غوي الفصيل؛ إذا بشم من كَثْرَة شرب اللَّبن، وإذا لم يُروَ من لبن أمِّه؛ فماتَ هزلًا، فالكلمة من الأضداد، وأصلُ (الضَّلال) الهَلاكُ، ومِنْه قَوْلهم: ضَلَّت النّاقة؛ إذا هَلَكت بضياعِها، وفي القُرْآن ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: 10] أي: هلكنا بتقطُّع أوصالنا، فالَّذي يوجِبهُ أصل الكَلِمَتَيْن أن يكون الضَّلالُ عَن الدّين أبلغَ من الغَي فيهِ، ويسْتَعْمل الضلال أيْضًا في

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/63.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور: 5/280.

الطَّريق، فيُقال: ضلَّ عَن الطَّريق إذا فارقه، ولا يستعمل الغي إلّا في الدّين خاصَّة رُبما اسْتُعْمل الغيُّ في الخيبة، يُقال: غوى الرجل؛ إذا خابَ في مطلبه"[1]. ويأتي (الضَّلال) بمَعْنى الضّياع، يُقال: هوَ ضالٌّ في قومه، أي: ضائع، والضلال يتَصَرَّف في وُجوه، لا يتَصَرَّف الغي فيها.

(تُرْجَعونَ) و(تحشرون):

(الرّجوع): "هو المصير إلى الموضع الذي قد كان فيه قبلُ، هوَ الرُّجوع إلَى مُنْتَهى المَقْصد والرُّجوع يكون لذَلِك ولغيره، ألا ترى أنَّه يُقال: رَجَعَ إلَى بعض الطَّريق"[2].

في الحشر معنى زائد، هو الاجتماع، وأمّا الرُّجوع؛ فهو مطلق الإعادة

(الْحَشْر) هوَ الجمع مَعَ السَّوق، ومِنْه يَوْم الحَشْر؛ لِأنَّ الخلق يجمعونَ فيهِ، ويساقون إلى الموقف"[3].

قال الراغب: "الرُّجوعُ: العود إلى ما كان منه البدء، أو تقدير البدء مكانًا كان أو فعلًا، أو قولًا، وبذاته كان رجوعه، أو بجزء من أجزائه، أو بفعل من أفعاله. فالرُّجوعُ: العود، والرَّجْعُ: الإعادة، والرَّجْعَةُ والرِّجْعَةُ في الطَّلاق، وفي العود إلى الدُّنيا بعد الممات"[4]، و" الحَشْرُ: إخراج الجماعة عن مقرِّهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها، ويقال ذلك في الإنسان وفي غيره، يقال: حَشَرَتِ السنةُ مالَ بني فلان، أي: أزالته عنهم، ولا يقال الحشر إلّا في الجماعة"[5].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 227، 226.
(2) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 324، 323.
(3) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 150.
(4) الرّاغب، المفردات: (رجع).
(5) الرّاغب، المفردات: (حشر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»